

أخلاقه ﷺ مع الأطفال والصبيان

أعظم إنسان
عرفته البشرية
صلى الله عليه وسلم

☀ عن أنس رضي الله عنه، قال: «كَانَ ﷺ يَمُرُّ بِالصَّبْيَانِ فَيَسَلِّمُ عَلَيْهِمْ»^(١).
☀ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْتِي بِالصَّبْيَانِ فَيَدْعُوهُمْ؛
فَأُتِيَ بِصَبْيٍّ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ إِيَّاهُ، وَلَمْ يَغْسِلْهُ»^(٢).
☀ وكان ﷺ يسمع بكاء الصبي؛ فيسرع في الصلاة؛ مخافة أن تفتن أمه^(٣). أي
تشتغل به عن الصلاة^(٤).

☀ ومواقفه ﷺ مع الأطفال وتألفه لهم وعطفه عليهم، كثيرة مشهورة؛ ومن
ذلك تركه ﷺ الحسن أو الحسين، يمتطي ظهره الشريف، وهو ساجد في الصلاة
فظل ساجدًا حتى نزل الصبي وحده.
فلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ
ظَهْرَانِي صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطْلُتَهَا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ؟
قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي؛ فَكِرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ
حَاجَتَهُ»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٥٥)، ومسلم (٢٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٨)، ومسلم (٤٧٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) وتقدم كثير من ذلك في مبحث رحمته ﷺ.

(٥) أخرجه النسائي (١١٤١)، وأحمد (١٥٦٠٣)، من حديث شداد بن الهاد رضي الله عنه، وقد تقدم في

مبحث رحمته ﷺ. وهو حديث صحيح.

❦ وَكَانَ يَأْخُذُ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ﷺ، فَيَقْعِدُهُ عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْآخَرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْهُمَا فَإِنِّي أَرْحُمُهُمَا»^(١).

❦ وعن أنس ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ يلعب زينب بنت أم سلمة، وهو يقول: «يَا زُوَيْنَبُ، يَا زُوَيْنَبُ» مراراً^(٢).

❦ وكان ﷺ يحمل ابنة ابنته وهو يصلي بالناس؛ إذا قام حملها، وإذا سجد وضعها.

❦ وَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَتَزَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَنْرِ، فَحَمَلَهُمَا، فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيِّينِ يَمْشِيَانِ وَيَعْتُرَانِ، فَلَمْ أَضْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حِدِيثِي فَرَفَعْتُهُمَا»^(٣).

❦ وسَنَّ الرسول ﷺ رعاية الطفل من الناحية الوجدانية؛ وذلك بالإحسان إليه ورحمته وملاعبته وإدخال السرور عليه.

❦ وكان ﷺ شديد العناية بالصغار، وبمراعاة مشاعرهم ونفسياتهم، ويتباسط معهم، ويداعبهم، ويؤانسهم، ولم يُذكر عنه ﷺ مطلقاً أنه عبس أو تجهم في وجه أحدهم، بل كان ما إن يراهم إلّا ويبشّ ويبشّ لهم، وكانت سيرته ﷺ تطبيقاً عملياً

(١) أخرجه البخاري (٦٠٠٣) من حديث أسامة بن زيد ﷺ. وتقدم في مبحث رحمته ﷺ.
(٢) أخرجه الضياء المقدسي في المختارة، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٤١).
(٣) أخرجه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، والنسائي (١٤١٣)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، من حديث أبي بُرَيْدَةَ ﷺ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٦٠٠).

لذلك.

☀ فَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَدُعِينَا إِلَى طَعَامٍ؛ فَإِذَا حُسَيْنٌ يَلْعَبُ فِي الطَّرِيقِ، فَأَسْرَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَامَ الْقَوْمِ، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَفْرَهُهُنَا وَهَهُنَا، وَيُصَاحِكُهُ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ فِي ذَقْنِهِ وَالْأُخْرَى فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ اعْتَنَقَهُ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّهُ، الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سِبْطَانِ مِنَ الْأَسْبَاطِ»^(١).

☀ وَعَنْ أُمِّ خَالِدِ بْنِتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَبِي، وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَنَاهُ سَنَاهُ» - وَهِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنَةٌ - قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعَهَا». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي»^(٢).

☀ وَهَذَا هُوَ ذَا يُوَاسِي أَبَا عَمِيرٍ فِي طَائِرِهِ، فيقول له: «يَا أَبَا عَمِيرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ». فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَكَانَ لِي أَخٌ صَغِيرٌ، يَكْنَى: أَبَا عَمِيرٍ، وَكَانَ لَهُ نُغَيْرٌ يَلْعَبُ بِهِ، فَمَاتَ نُغْرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٦٤) واللفظ له، وأخرجه أيضًا: أحمد (١٧١١)، والترمذي (٣٧٧٥)، وابن ماجه (١٤٤)، باختصار ذكر الحسن، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٢٢٧). و(الأسباط): جمع سبط، وهو ولد الابن والابنة. والمقصود: أنها أمة من الأمم في الخير، والأسباط في أولاد إبراهيم عليه السلام بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٧١). و(زبَرَنِي): نهَرَنِي وَزَجَرَنِي. و(أَبْلِي وَأَخْلِقِي): المراد الدعاء لها بطول الحياة حتى يبلى ثوبها ويقطع. وإنها خاطبها بلسان الحبشة؛ لأنها ولدت في أرض الحبشة، وقدمت منها وهي بنت صغيرة.



يَوْمَ فَرَّاهُ حَزِينًا، فَقَالَ لَهُ: «مَا شَأْنُ أَبِي عُمَيْرٍ حَزِينًا؟» فَقَالُوا: مَاتَ نُعْرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فقال: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ؟»^(١).

☀ فكان ﷺ أرحمَ النَّاسِ بالأطفال والصبَّيان، مهتمًا بشئونهم، حريصًا على ما يصلحهم؛ يقول أنس بن مالك ؓ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢).

وصدق الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٠)، ومسلم (٢١٥٠). و(النُّعَيْر): تصغير (النُّعْر) وهو طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٦).

☀ هل عَلِمَ أَحَدٌ في التاريخ كُلَّهُ خَادِمًا يُثْنِي على سَيِّدِهِ، مثل ما قال خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟!

☀ يقول أنس رضي الله عنه كلامًا ما أعجبه! وشهادة ما أصدقها! وثناء ما أعطره! عن حال رسول الله ﷺ معه؛ قال: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أَفَّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لَيْشِيءٌ: لَمْ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا!!»^(١).

☀ عشر سنوات كاملة؛ ليست أيامًا أو شهرًا؛ إنه عمرٌ طويلٌ؛ فيه الفرح والترحُّ، والحزن والغضب، وتقلبات النفس واضطرابها، وفقرها وغناها، ومع هذا فلم ينهره ولم يأمره - بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام - بل ويكافئه ويطيب خاطر خادمه، ويلبي حاجته وحاجة أهله، ويدعو لهم.

يقول أنس رضي الله عنه: قالت أُمِّي: يا رسول الله، خادمك ادع الله له، قال: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ»^(٢).

☀ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣).

☀ وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ، إِلَّا

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٣٤)، ومسلم (٢٤٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٨)، واللفظ له.

أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُتْهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بِهَا اللَّهُ^(١).

☀️ وكان ﷺ يهتمُّ برعاية خَدَمِهِ، ويتفقد أحوالهم وأمورهم الخاصة، ويعينهم على أمور معاشهم؛ ويعودهم إذا مَرَضُوا، ويتدبّرهم بالسؤال عن حاجتهم، ولم يكن هذا الأمر حديثًا عابرًا منه ﷺ، بل كان يشغل باله ويتابعه ويسأل عنه؛ ولا ينتظر حتى يسأله هم؛ فعَنْ رِبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَادِمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلْنِي أُعْطِكَ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْظِرْنِي؛ أَنْظِرْنِي فِي أَمْرِي. قَالَ: «فَانْظُرْ فِي أَمْرِكَ».

قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَقُلْتُ: إِنَّ أَمْرَ الدُّنْيَا يَنْقَطِعُ، فَلَا أَرَى شَيْئًا خَيْرًا مِنْ شَيْءٍ أَخَذَهُ لِنَفْسِي لِأَخْرَجَنِي؛ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا حَاجَتُكَ؟». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْفَعْ لِي إِلَى رَبِّكَ، عَزَّ وَجَلَّ؛ فَلْيُعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ.

فَقَالَ: «مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا؟». فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَمَرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَلَكِنِّي نَظَرْتُ فِي أَمْرِي؛ فَرَأَيْتُ أَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ مِنْ أَهْلِهَا؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَخْذَ لِأَخْرَجَنِي. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(٢).

☀️ وقد امتدّت عنايته ﷺ بخدمه لتشمل غير المؤمنين به، وذلك كما فعل مع

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠) واللفظ له، ومسلم (٢٣٢٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٦١٤٢)، والطبراني في مسند الشاميين مختصرًا (١٣٥٣)، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند (١١٤/٢٧): حديث حسن بهذا السياق، دون قوله: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» فصحيح لغيره، وحسن الألباني إسناده في الإرواء (١٠٩/٢).



الغلام اليهودي الذي كان يُخدمُه؛ فعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرَضَ؛ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ» فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، وَهُوَ عِنْدَهُ؛ فَقَالَ لَهُ: أَطِيعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

كما كان ﷺ يبذل نفسه الشريفة ووقته؛ لأجل قضاء حاجات الضعفاء والمساكين، رغم اشتغاله بالأمور العظام والمهام الجسام؛ فعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَأْتِفُ وَلَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ؛ فَيَقْضِي لَهَا حَاجَتَهَا»^(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْظِرِي أَيَّ السَّككِ شِئْتِ؛ حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ» فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ؛ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا^(٣).
وصدق الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

* * *

هذا غيْضٌ من فيضٍ، وقطرةٌ من محيطٍ؛ من خصال وأخلاق أعظم إنسان عرفته

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٦).

(٢) أخرجه النسائي (١٤١٤)، والدارمي (٧٤) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٣٤١). (ويستكشف): يستكبر.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٢٦).

البشرية ﷺ، جمعتها على عجل؛ مساهمة متواضعة، وكلمات مختصرة؛ لعلنا ندرك جانباً يسيراً من جوانب العظمة، في حياة سيد الخلق، وحبیب الحق ﷺ.

* * *

كيف ننصر هذا النبي الكريم ﷺ؟

أعظم إنسان
عرفته البشرية
صلى الله عليه وسلم

☀ سؤال ينبغي أن يسأله كلُّ محبٍّ صادقٍ في محبته لهذا النبيِّ الكريم ﷺ لنفسه،
وهو: كيف أنصرُّ هذا النبيَّ الكريم ﷺ؟ كيف أذبُّ عن عرضه الشريف ﷺ؟
☀ وكيف أُرِدُّ على حملات التشويه الظالمة، والإساءة الغاشمة، التي يتعرَّض لها
شخصه الكريم ﷺ في الشرق والغرب؟

☀ وماذا يجبُ عليَّ وفاء بحقه وتأكيدًا لمحبهته ﷺ؟
☀ وقبل أن أجيبك على هذا السؤال؛ لتسأل نفسك: من اتصف بكل هذه
الصفات الرائعة العظيمة التي بلغت الكمال البشري - أليس جديرًا بأن يُحَبَّ؟!؟
فكيف إذا علمت أنه يحبُّك؟!؟ بل كيف إذا علمت أنه هو يشناق لك ويتمنى
رؤيتك؟!؟! بل ويبكي من أجلك خوفًا عليك وشفقةً بك؟!؟!

لا أشكُّ لحظةً أنك ستقول من كل قلبك وكيانك: بلى، أحبه ﷺ
عندها سأقول لك: إن مجرد محبته ﷺ لا تكفي وحدها!! بل لابد أن تحقق حقيقة
قول نبيك وحبيبك ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ

-
- (١) أخرج مسلم من حديث أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: «وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتَنَا إِخْوَانًا». قالوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانَتَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ...».
- (٢) كما في حديث عمرو بن العاص عند مسلم (٢٠٢)، وفيه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنِّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فَعَرَفَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَمْنِي أَمْنِي، وَبَكِي...»، وتقدم كاملاً ص ٦٩.



وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١).

☀ وهذا هو الجواب على كل الأسئلة المتقدمة: لكي ننصر نبينا وحبيبنا ﷺ لابد أولاً أن نحقق في أنفسنا حقيقة محبته ﷺ، وأن يكون حبه ﷺ أعظم في قلوبنا من كل حب؛ بل أعظم من محبتنا أنفسنا، وأن نجعل ذلك الحب واقعاً ملموساً مشاهداً لا زعماً. ☀ حباً كذاك الحب الذي ملأ قلب الصديق ﷺ، حتى وجد ريّ ظمأ حبيبه ﷺ في جوفه حقيقة لا ادعاء ولا مبالغة؛ فرضي لذلك!!

يحكي أبو بكر ﷺ، عن رحلة الهجرة مع حبيبه من مكة إلى المدينة؛ فيقول: «مَرَرْنَا بِرَاعٍ وَقَدْ عَطَشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَحَلَبْتُ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ فِي قَدَحٍ، فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ...»^(٢).

يا الله ما أعظم وأصدق هذا الحب! «فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ»!! وكيف يرضى الصديق إلا وقد ذهب العطش عن حبيبه ﷺ؟! وكأنَّ أبا بكر ﷺ، هو الذي ارتوى؛ فذهب عطشه، والصديق الذي جاء بالصدق وصدق به، لا يبالغ في حديثه، ولا يقول إلا ما وجدته حقيقة!!

☀ وهو نفسه الحب الذي ملأ كيان هذا الصحابي كله؛ حتى لا يكاد يصبر على فراق حبيبه ﷺ، فيرجع لينظر إلى وجهه الشريف ﷺ؛ بل إن هذا الشوق يتجاوز حدود الزمان والمكان؛ ليمتد إلى يوم القيامة، حتى وهو في الجنة!! فيقول له: يا رسول الله، والله إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي، وإنك لأحبُّ إليَّ من أهلي، وأحبُّ إليَّ

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٠٧)، ومسلم (٢٠٠٩). و(الكُثْبَةُ): الجرعة في الإناء. والمقصود: كمية قليلة.



من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك؛ فما أصبر حتى آتيك؛ فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك؛ عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك...!!^(١)

☀ وهو نفسه الحب الذي ملأ قلب بلال ؓ، حتى جعله يستعذب الموت فرحاً مستبشراً بالقدمه؛ لأنه سيمكنه من رؤية حبيبه ﷺ!!
تقول امرأته عند احتضاره: وا ويلاه! ويقول هو: وا فرحاه! غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه!!^(٢)

☀ وهو الحب الذي جعل زيد بن الدثنة ؓ، يؤثر الموت راضياً مطمئناً، على أن تُصيب حبيبه ﷺ شوكة تؤذيه وهو في مجلسه!!
يقول له أبو سفيان - وقد أخرجوه من الحرم ليقتلوه - فيسأله حين قدم ليقتل: أنشدك الله، يا زيد، أحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك، نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ قال: والله، ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه، تُصيبه شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (١/ ٥٣)، والأوسط (١/ ١٥٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٦٣/ ٧): ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي، وهو ثقة. وقال الحافظ ابن حجر في العجاب (٢/ ٩١٤): رجاله موثقون. وحسنه سليم الهلالي ومحمد آل نصر في الاستيعاب في بيان الأسباب (١/ ٤٢٩، ٤٣٠)، وبقية الحديث: «فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]».

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥٩).



أَحَدًا؛ كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا!!^(١).

☀ وهو نفسه الحبُّ الذي ملأ قلبَ سعدِ بنِ الرَّبيع؛ فجعل نُصرةَ حبيبهِ ﷺ وفدائه بالمُهْج والأرواح، هي آخر وصية يوصي بها قومه الأنصار، وهو يجودُ بنفسه شهيدًا ﷻ!!

يقول زيد بن ثابت ﷺ: بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع. قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، وبه سبعون ضربة؛ ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ أَفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟

قَالَ: أَنَا فِي الْأَمْوَاتِ، فَأَبْلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلَّ لَهُ: إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ: جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ، وَأَبْلَغَ قَوْمَكَ عَنِّي السَّلَامَ، وَقُلَّ لَهُمْ: إِنَّ سَعْدَ بْنَ الرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، إِنْ خُلِصَ إِلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ وَفِيكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ، وَفَاصَتْ نَفْسُهُ مِنْ وَقْتِهِ^(٢).

☀ فأني عذرٍ تعذر به اليوم أمة المليار، وقد خُلِصَ إلى رسولها ﷺ واجترأ عليه الأراذل والسفهاء!!

☀ إن الحبَّ الحقيقي لرسولنا ﷺ إذا لامس شغاف قلوبنا حقًا وصدقًا، وأصبح

(١) أخرجه ابن إسحاق عن شيخه عاصم بن عمرو مصرحًا بالتحديث عنه؛ سيرة ابن هشام (٣/ ١٧٢)، والمغازي للواقدي (٢/ ٣٦٢). وانظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٤٠٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/ ٢٠١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ووافقه الذهبي، وذكره ابن هشام في السيرة (٢/ ٩٤)، وابن عبد البر في الاستيعاب

(٤/ ١٤٥). وقال العمري في السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٣٨٦) هامش (٣): من رواية ابن

إسحاق، بإسناد رجاله ثقات.

حقيقة لادعوية لابدّ وحتماً أن يصبحَ واقعاً ملموساً نعيشه، ونلمس آثاره في أخلاقنا، وفي سلوكنا، وفي اهتماماتنا، وفي حياتنا كلّها.

☀ إن هذا الحبّ يدفعنا أولّ ما يدفعنا إلى نصره دين حببنا ﷺ، وأن نبذل لأجل الدعوة إليه، والحفاظ عليه، مُهَجِّجًا وأرواحنا، وشعارنا هو كلمة أعظم محبّ وأصدق محبّ ﷺ، يوم تعرض دين محبوبه ﷺ للخطر؛ فصاح صيحته الخالدة: إِنَّهُ قد انقطع الرّوحى، وتَمَّ الدِّينُ، أَيَنْقُصُ وأنا حَيٌّ؟!^(١).

☀ وما أفاقه إمام دار الهجرة، وفقه الإسلام رحمه الله، وهو يقول: «مَنْ ابْتَدَعَ فِي الإسلام بدعةً يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمداً ﷺ خانَ الرّسالة، لأنَّ الله يقول: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذٍ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً»^(٢).

☀ فليت شعري كيف يدعي محبته ﷺ أقوامٌ؛ ثم هم أولّ معولٍ هدمٍ لشريعته ومحاربة سنته ﷺ؛ بالابتداع في دينه بدعوى محبته، متجاهلين تحذيره الشديد ﷺ: «إياكم ومُحدثاتِ الأمور، فإنَّ كُلَّ مُحدثَةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ»^{(٣)؟!!}

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ (٦٤٢٦).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/٤٩). وقال في تعريف البدعة: «والبدعة شرعاً: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التبعّد لله تعالى؛ فما كان من الاختراعات في أمور الدنيا فلا يعتبر من البدعة المذمومة شرعاً. قال ابن رجب: «وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية». جامع العلوم والحكم (١٢٨/٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، من حديث العَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٣٥).



☀ فالمحبُّ الصادقُ لرسوله ﷺ الذي يريدُ نصرته بحقٍّ؛ حريصٌ على اتباعه ﷺ في كل شئونه، والاحتكام إلى شريعته الطاهرة، والرضا بها، والتسليم التام لها، وتعظيم سنته الشريفة.

☀ والمحبُّ الصادقُ الذي يريدُ نُصرة حبيبه ﷺ يطيعُه في نهيهِ عن الغلو فيه، ولا يُنزله فوق منزلته، التي أنزله الله إياها، ورضيها له ربُّه عزَّ وجلَّ؛ وهي أنه عبد الله ورسوله ﷺ.

☀ والمحبُّ الصادقُ الذي يريدُ نُصرة حبيبه ﷺ حريصٌ أشدَّ الحرصِ على أن يتعرف سنَّة حبيبه ﷺ، وعلى سيرته الشريفة، وأن يُعلِّمها أولاده وأهلَه وزملاءه في العمل.

والمحبُّ الصادقُ الذي يريدُ نُصرة حبيبه ﷺ، يحرص أشدَّ الحرصِ على التَّأسي بأخلاقه ﷺ الكريمة وخصاله الشريفة، ليعطي صورة مشرفة لدينه ودعوته ﷺ، وليتَّعَمَّ بالقرب منه ﷺ، ويحظى بجواره يوم القيامة، تلك المنزلة العالية التي لا تُنال إلا بحسن الخلق، كما أخبر ﷺ بذلك؛ فقال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(١).

☀ والمحبُّ الصادقُ الذي يريدُ نُصرة حبيبه ﷺ لا تفارق محبَّته ﷺ قلبه طرفة عين، فهو دائمًا يستحضر عظيم فضله وإحسانه ﷺ عليه، وعلى كلِّ واحد منا؛ فقد بلغنا الرسالة أتم البلاغ، وأدى الأمانة أحسن الأداء، ونصح الأمة أعظم النصح وأصدق.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٩١).

والمحبُّ الصادقُ الذي يريدُ نُصرةَ حبيبه ﷺ يُحِبُّ أهلَ بيتهِ الكرامَ الأخيارَ الأبرارَ؛ من أزواجه وذريته وقرايته الأطهارِ، ويواليهم ويُجِلُّهم، ويُبغِضُ كلَّ مَنْ يُبغِضُهم، أو يَنْتَقِصُ من قدرِهم.

ويا لها من كلمة محبٍّ ما أصدقُه وأصدقها: «والذي نَفْسِي بيده، لَقَرابةُ رسولِ الله ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ من قرابتي»^(١)!!

والمحبُّ الصادقُ الذي يريدُ نُصرةَ حبيبه ﷺ، يحِبُّ أصحابَه الكرامَ أَجْمَعِينَ، وَيُوقِّرُهم، وَيَقْتَدِي بِهم، وَيَهْدِي بِهِم، وَلَا يَذْكُرُهم إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَيَكْفُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَيَدْعُو وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، وَيَعْتَقِدُ فَضْلَهُمْ عَلَى مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ، فِي الْعِلْمِ، وَالْعَمَلِ، وَالْمَنْزِلَةِ، وَيُبْغِضُ كُلَّ مَنْ يُبْغِضُهم، أو يَنْتَقِصُ مِنْهُمْ.

أيا ساكني أكناف طيبة كُلُّكُمْ إلى القلبِ من أجلِ الرسولِ حبيبِ
والمحبُّ الصادقُ الذي يريدُ نُصرةَ حبيبه ﷺ، يحِبُّ العلماءَ الربانيين، والدعاة الصادقين، وَيُقَدِّرُهم، وَيَعْرِفُ لهم فَضْلَهُمْ وَقَدْرَهُمْ، وَيُطِيعُهُمْ فِي الْمَعْرُوفِ، وَلَا يَتَّبِعُ زَلَّاتِهِمْ، وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ فِي الْمَلَمَّاتِ، وَيَصْدُرُ عَنْ فِتَاوِيهِمْ فِي الْمُهَمَّاتِ، وَيَنْشُرُ حَسَنَاتِهِمْ، وَيَذُبُّ عَنْهُمْ؛ لِمَكَانَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ بِمِراثِ حَبِيْبِهِ ﷺ.

والمحبُّ الصادقُ الذي يريدُ نُصرةَ حبيبه ﷺ لَا يَكُلُّ وَلَا يَمَلُّ من ترطيب لسانه وتعطيره، بكثرة الصلاة والسلام على حبيبه ﷺ فِي كُلِّ حِينٍ، وَيُبَادِرُ إِلَى ذَلِكَ عِنْدَ سَمَاعِ اسْمِهِ الشَّرِيفِ ﷺ.

(١) هو قول الصَّدِّيقِ ﷺ؛ جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٧١٢)، ومسلم (١٧٥٩).

وكيف يملّ ويكلّ؟! والصلاة على الحبيب ﷺ هي جلاء الأبصار، ونور البصائر، وبهجة القلوب، وراحة الأرواح، وقرة العيون، وانسراح الصدور، وهي جالبة السرور، وبها ذهاب الهموم والغموم، وهي مسك المجالس، وطيب الحياة، وزكاة العمر، وجمال الأيام، وهي علامة الحب، وشاهد المتابعة، وبرهان الموالاة، والبخيل كل البخيل من ضنّ بها^(١)، والذلّ والرّغام مصير من امتنع عنها^(٢).

☀️ والمحبّ الصادق الذي يريد نصرة حبيبه ﷺ يغار على محبّوه أن يُسيء إليه أو يتنقصه أحد، كائنًا من كان، ويغضب لذلك أشدّ الغضب؛ ولكنه غضبٌ إيجابي، وليس غضبًا مندفعًا بلا رشد أو هدف.

غضبٌ يتأسى فيه بمحبّ صادق، وقف في وجه أبيه عندما أساء إلى حبيبه ﷺ فمنع أباه من دخول المدينة، وقال له: والله، لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، لتعلم أيهما الأعزّ من الأذلّ: أنت أم رسول الله ﷺ؟! فيقول له أبوه: تصنع هذا بأبيك؟!... فمرّ رسول الله ﷺ وعبد الله واطئ على يد راحلة أبيه، وابن أبيّ يقول: لأنا أذلّ من الصبيان، لأنا أذلّ من النساء، فقال رسول الله ﷺ: «خلّ عن أبيك» فخلّى عنه، وقال له: «أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ، فجز الآن»^(٣).

(١) قال ﷺ: «البخيل الذي من ذكّرت عنده فلم يصلّ عليّ» أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، من حديث

علي بن أبي طالب ؓ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٨١١).

(٢) قال ﷺ: «رغم أنف رجلٍ ذكّرت عنده فلم يصلّ عليّ» أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، من

حديث أبي هريرة ؓ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٨١٠). يقال: (رغم

أنفه)؛ بفتح الغين وكسرهما؛ من الرّغام بفتح الراء؛ وهو التراب؛ أي ألصقه بالرّغام وأذله.

(٣) قصة عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ابن سلول مع أبيه عبد الله بن أبيّ ابن سلول؛ انظر: تفسير ابن

كثير (٤/٣٧٢)، وتاريخه (٤/١٥٨).



فيمنع أباه من دخول مدينته، حتى يأذن له حبيبه ﷺ ليعلم أبوه - ولتعلم الدنيا كلها - أن العزة لله ولرسوله ﷺ، وأن الذي يتجرأ على الإساءة لمقام حبيبنا ﷺ لا مكان له بيننا، ولا كرامة له أبداً.

☀ هذا هو الغضب الذي نريده من المحب الصادق؛ ليدفعه لأن يترك بعض مألوفاته ومحبوباته...

☀ غضب يجعل كل محب يعلنها واضحةً مجلجلةً: والله، لا يدخل جوفي شيء من بلد أساء إلى حبيبي وقرة عيني ﷺ حتى يأخذوا على يد من سوأت له نفسه الخبيثة فعل ذلك؛ ليكون عبرة لكل من تسوّل له نفسه الخبيثة الإساءة إلى حبيبنا ﷺ مرة ثانية.

وليعلموا أن رسولنا وحبيبنا ﷺ أحب إلينا من آبائنا وأمهاتنا وأولادنا!! بل من أنفسنا وأرواحنا ومهجنا؛ فكيف ببطوننا وملذاتنا وبعض شهواتنا!!

إمام المرسلين فداك رُوحِي	وأرواحُ الأئمةِ والدعاةِ
رسولَ العالمين فداك عِرْضِي	وأعراضُ الأجلةِ والتقاةِ
ويا عَلَمَ الهدى يفديكَ عُمْرِي	ومالي يانبيِّ المكرماتِ
وعِرْضُكَ عِرْضُنَا ورؤاكَ فِينَا	بمنزلةِ الشهادةِ والصلاةِ
رفعت منازِلَ وشرحت صدراً	ودينُكَ ظاهرٌ رغم العُداةِ

وانظر أيضاً: مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع، لإبراهيم قريسي (١/ ١٩٣)، وهي عند الترمذي (٣٣١٥) بلفظ: «قال له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تقلب حتى تُقرَّ أنك الذليل، ورسول الله ﷺ العزيز، ففعل». وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٤١)، وأصل القصة في الصحيحين؛ البخاري (٣٥١٨)، ومسلم (٢٥٨٤).



وغرسك مثمرٌ في كل صقع
وأعلى الله شأنك في البرايا
رحيمٌ باليتيمة والأسارى
كريمٌ كالسحاب إذا أهلت
بليغٌ علم الدنيا بوحى
حكيمٌ جاء باليسرى شفيقٌ
وهديك مشرقٌ في كل ذاتٍ
وتلك اليوم أجلى المعجزات
رفيقٌ بالجهول والجناة
شجاعٌ هداة أركان البغاة
ولم يقرأ بلـوح أو دواة
فلأنت منه أفئدة القساة^(١)

❦ وأخيراً، فالمحبُّ الصادقُ الذي يريدُ نُصرةَ حبيبهِ ﷺ يعتزُّ بعقيدته وشريعته،
ويتميز بشخصيته وفكره، ويأنف أن يكون إمعة مقلداً لأنماط وعادات سلوكية
وفكرية، لأناس لا يؤمنون بدينه، ولا يُعظَّمون حبيبَهُ ﷺ.

* * *



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
أقوال المصنفين في أعظم إنسان عرفته البشرية.....	٧
أخلاق أعظم إنسان ﷺ.....	١٥
أدبه ﷺ مع ربه عز وجل.....	١٧
صده ﷺ.....	٢١
أمانته ﷺ.....	٢٥
تواضعه ﷺ.....	٣١
حياؤه ﷺ.....	٤١
زهده ﷺ.....	٤٧
صبره ﷺ.....	٥٣
رحمته ﷺ.....	٥٩
رحمته وشفقته ﷺ في دعوته.....	٧٥
حلمه وعفوه وصفحه ﷺ.....	٧٩
عدله ﷺ.....	٩١
وفاؤه ﷺ بالعهد ورعايته له.....	١٠١
كرمه وجوده وسخاؤه ﷺ.....	١١٥
شجاعته وقوته ﷺ.....	١٢٥
ضحكه ومزاحه ﷺ.....	١٣٣
أخلاقه ﷺ مع أهله.....	١٣٧
أخلاقه ﷺ مع الأطفال والصبيان.....	١٤٣
أخلاقه ﷺ مع الخدم والضعفاء والمساكين.....	١٤٧
كيف تنصر هذا النبي الكريم ﷺ؟.....	١٥١
فهرس الموضوعات.....	١٦١

